الخشوع للكاتب : د. جمال المراكبي

<p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;">الخشوع في اللغة: الانخفاض والذل والسكون،
ويجمع ذلك كله الخضوع والضراعة، فالخضوع في البدن والضراعة في القلب، والخشوع يكون في القلب والبدن، في السمع والبصر والعظم والعصب، ولهذا
كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول في ركوع الصلاة: ((اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك
أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي)). مسلم (771).</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height:
normal;">والخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة، والذل والانكسار، فهو قيام القلب بين يدي الرب
بالخضوع والذل واستشعار عظمة ذي الجلال والإكرام.</p><p class="a0" dir="RTL" style="text-align: justify;"><span style="font-size: 14pt; font-family: Simplified Arabic; color:
navy;" lang="AR-SA">درجات الخشوع⁽¹⁾ </p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;"><span style="font-size: 14pt; font-family: Simplified Arabic;
color: maroon;" lang="AR-SA">والخشوع على ثلاث درجات:</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;"><span style="font-size: 14pt; font-family: Simplified
Arabic; color: red;" lang="AR-SA">الأولى: التذلل للأمر، والاستسلام للحكم، والاتضاع لنظر
الحق.</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;">أما التذلل للأمر فهو تلقي
الأوامر الشرعية بذلة القبول والانقياد والامتثال، مع إظهار الضعف والافتقار إلى هداية الرب لمعرفة الأمر الشرعي، وإعانته عليه حال فعله، ثم قبوله بعد
ذلك.</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;">والاستسلام للحكم الشرعي يكون
بقبوله وعدم معارضته برأي أو شبهة أو شهوة، وكذلك الاستسلام للحكم القدري يكون بالرضا بالقضاء وعدم تلقيه بالتسخط والكراهة
والاعتراض.</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;">والاتضاع لنظر الحق
بمعنى تواضع القلب والجوارح وانكسارها لنظر الرب إليها واطلاعه على ما في القلب والجوارح، فلا يجترئ على المعاصي مع علمه بنظر الرب إليه، ولا
ينصرف إلى غير اللَّه تعالى، وقد نظر اللَّه إليه، ونصب وجهه لوجه عبده فيخاف من نظر الرب تعالى بالاطلاع عليه، والقدرة عليه.</p><p class="a" dir="RTL"
style="text-indent: 0in; line-height: normal;">قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات: 40، 41]، ولهذا قال بعض السلف الصالح: ((لا تجعل
اللَّه أهون الناظرين إليك))، فتستحي من اطلاع بعض العباد عليك، ولا تستحي من اطلاع رب العالمين عليك ونظره إليك، وبهذا يتحقق مقام الإحسان،
أن تعبد ربك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;"><span style="font-size: 14pt; font-family: Simplified Arabic;
color: red;" lang="AR-SA">الدرجة الثانية: ترقب آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل ذي فضل
عليك. ويتحقق ذلك بالنظر إلى عيوب نفسك وتقصيرها في حقوق الله وحقوق العباد، وعدم الاغترار بالعمل، وشكر صاحب المنة عليك على فضله، ولهذا فلا
يكتمل التعبد إلا بمطالعة عيب النفس، ومشاهدة منة اللَّه تعالى من الهداية والإعانة والتوفيق، ولهذا شرع لنا المولى تبارك وتعالى الاستغفار بعد العمل
الصالح، فبعد الصلاة يستغفر العبد ربه ثلاثًا كما كان هدي النبي-صلى الله عليه وسلم- ، وبعد الإفاضة من عرفات وذكر الله
تعالى، يستغفر العبد ربه، قال تعالى: {ثُ��مَّ أَفِيضُ��واْ مِنْ حَيْثُ�أَفَاضَ النَّاسُ�وَاسْتَغْفِرُ��واْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُ��رٌ رَّحِيمٌ} [البقرة: 199].</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;"><span style="font-size: 14pt; font-family: Simplified Arabic; color: red;"
lang="AR-SA">الدرجة الثالثة: حفظ الحرمة عند المكاشفة، وتصفية الوقت عن مراءاة الخلق.
فإذا كشف الله للمؤمن عن بشارة من المبشرات كرؤيا صالحة أو ثناء أهل الخير أو غير ذلك لم ينبسط وي��ل ويعجب، بل يزداد وجلاً وخوفًا وخشوعًا، وقد
كان السلف يخافون من ظهور الكرامة أن تكون استدراجًا، ويزدادون بالبشارات خوفًا وطمعًا وعملاً صالحًا، ولا يهتم المؤمن إلا بإخلاص العمل لله، وإخفاء
حاله عن الناس كخشوعه وحرصه على الخيرات، ولهذا كان الصالحون يقولون لمن أثنى عليهم ومدحهم على أعمالهم: ((اللهم اجعلني
خيرًا مما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون)). ويقول قائلهم:لو كان للمعاصي رائحة لابتعد الناس عني.</p><p class="a"
dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center">والله لو علموا قبيح
سريرتي</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center">لأبى
السلام عليَّ من يلقاني</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center"><span style="font-size: 14pt; font-family: Simplified Arabic;"
lang="AR-SA">ولأعرضوا عني وملوا صحبتي</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center"><span style="font-size: 14pt;
font-family: Simplified Arabic;" lang="AR-SA">ولبؤت بعد كرامةٍ بهوان</p><p class="a0" dir="RTL" style="text-align: justify;"><span style="font-size: 14pt; font-family: Simplified Arabic;
color: navy;" lang="AR-SA">خشوع المؤمنين وخشوع الكافرين</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;"><span style="font-size: 14pt; font-family:
Simplified Arabic;" lang="AR-SA">الخشوع سمة من سمات المؤمنين المتقين، ومنهاج لحياتهم لأنهم عرفوا اللَّه العظيم بأسمائه وأوصافه وقدرته وعلموا ضعف
نفوسهم وحاجتهم إلى الله عز وجل وافتقارهم إليه، ولهذا خشعت قلوبهم وجوارحهم للَّه رب العالمين وألانوا الجانب لإخوانهم من المؤمنين، ولكنهم
يعتزون بعبوديتهم للَّه، وجهادهم في سبيله، فهم كما يقول ربهم سبحانه: {يُ��بُّ���� وَيُ��بُّ��نَهُ�أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُ��مِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى
الْكَافِرِينَ}.</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;">ولقد أثنى اللَّه تعالى
على عباده المؤمنين الخاشعين في كتابه الكريم في مواضع عديدة فقال سبحانه: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ�رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ
خَيْرُ�الْوَارِثِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ�وَوَهَبْنَا لَهُ�يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ�زَوْجَهُ�إِنَّهُ�� كَانُ��ا يُ��َارِعُ��نَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُ��نَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُ��ا لَنَا خَاشِعِينَ}
[الأنبياء: 89، 90].</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;"><span style="font-size: 14pt; font-family: Simplified Arabic;"
lang="AR-SA">فاستجاب اللَّه دعاء نبيه زكريا حين طلب الذرية الصالحة، وأصلح له زوجه لتنجب الذرية بعد أن كانت عاقرًا، ووهب له يحيى مصدقًا بكلمة من
اللَّه وسيدًا وحصورًا ونبيًا من الصالحين، ثم أثنى على هذه الأسرة المؤمنة بأنهم يسارعون في الخيرات ويحرصون على الطاعات، ويدعون ربهم رغبًا ورهبًا،
خوفًا وطمعًا، خاشعين خاضعين متذللين لله رب العالمين، فكان من فضل اللَّه تعالى أن استجاب لهم وأصلح أحوالهم ورضي عنهم.</p><p class="a" dir="RTL"
style="text-indent: 0in; line-height: normal;">وأثنى اللَّه على المؤمنين الخاشعين من أهل الكتاب الذين آمنوا
بالكتاب الأول، وآمنوا بما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- ولم يمنعهم الحسد ولا الكبر من متابعة الحق، ولم يحرفوا الكلم
عن مواضعه ليشتروا بآيات اللَّه ثمنًا قليلاً تافهًا حقيرًا كحب الزعامة والرياسة والمال كما فعل المستكبرون الكافرون، بل خشعوا لله وخضعوا، وآمنوا بالله
ورسله، ولم يفرقوا بين أحد من رسله، ولذلك وعدهم اللَّه الأجر العظيم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن
يُ��مِنُ�بِاللَّهِ وَمَا أُ��زِلَ إِلَيْكُ�� وَمَا أُ��زِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُ��نَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُ��لَـئِكَ لَهُ��ْ أَجْرُ����ْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ�الْحِسَابِ}
[آل عمران: 199].</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;"><span style="font-size: 14pt; font-family: Simplified Arabic;"
lang="AR-SA">وهدد اللَّه الذين ترددوا وأحجموا عن الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وبالقرآن الكريم، وأثنى على المؤمنين
الخاشعين الذين أوتوا العلم فقال: {قُ��ْ آمِنُ��اْ بِهِ أَوْ لاَ تُ��ْمِنُ��اْ إِنَّ الَّذِينَ أُ��تُ��اْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُ��ْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّ��نَ لِلأَذْقَانِ
سُ��َّدًا. وَيَقُ��لُ��نَ سُ��ْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ�رَبِّنَا لَمَفْعُ��لاً. وَيَخِرُّ��نَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُ��نَ وَيَزِيدُ���� خُ�����عًا} [الإسراء: 107-
109].</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;">وعاتب اللَّه المؤمنين، وحثهم

على الاجتهاد في تحصيل الخشوع لله، وتدبر آياته، وحذرهم طريقة المستكبرين من الذين أوتوا الكتاب من قبلهم، فلم يستمروا على العمل به والانقياد له، بل
طال عليهم الزمان، فضعف إيمانهم وزال يقينهم وقست قلوبهم وغفلوا عن الحق، فقال سبحانه: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُ��ا أَن تَخْشَعَ
ق����ب����ْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُ��نُ��ا كَالَّذِينَ أُ��تُ��ا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ�فَطَالَ عَلَيْهِمُ�الْأَمَدُ�فَقَسَتْ ق����ب����ْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُ��
فَاسِقُ��نَ} [الحديد: 16].</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;"><span style="font-size: 14pt; font-family: Simplified
Arabic;" lang="AR-SA">فما أحوج القلوب المؤمنة إلى أن ت��كر بما أنزله الله عز وجل، وأن تتدبر كلام الله، فإن الغفلة تتسلل إلى القلوب فتسبب قسوة القلب،
وجمود العين، ولهذا كان ابن عمر إذا تلا هذه الآية يقول: ((بلى يا رب، بلى يا رب)).</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in;
line-height: normal; text-align: center;" align="center">يا قسوة القلب ما لي حيلة فيكِ</p><p class="a" dir="RTL"
style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center">ملكت قلبيِ فأضحى شر
مملوكِ</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center">حجبتِ
عني إفادات الخشوع فلا</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center"><span style="font-size: 14pt; font-family: Simplified Arabic;"
lang="AR-SA">يشفيك ذكر ولا وعظ يداويكِ</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center"><span style="font-size: 14pt;
font-family: Simplified Arabic;" lang="AR-SA">وما تماديك من كشف الذنوب</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center">ولكن الذ��وب وأ��اها من تماديك</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align:
center;" align="center">يا نفس توبي إلى الرحمن مخلصةً</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in;
line-height: normal; text-align: center;" align="center">ثم استقيمي على عزمٍ ينجيكِ</p><p class="a" dir="RTL"
style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center">واستدركي فارط الأوقات
واجتهدي</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center"><span style="font-size: 14pt; font-family: Simplified Arabic;"
lang="AR-SA">عساك بالصدق أن تمحي مساويكِ</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center"><span style="font-size: 14pt;
font-family: Simplified Arabic;" lang="AR-SA">واسعي إلى البر والتقوى مسارعةً</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;"
align="center">فربما ش��ترْ يوماً مساعيك</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;
text-align: center;" align="center">والصالحات ليومِ الفاقة ادخريِ</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent:
0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center">في موقفٍ ليس فيه من يواسيكِ</p><p class="a"
dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center">وأحسني الظن بالرحمنَ
مسلمةً</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal; text-align: center;" align="center"><span style="font-size: 14pt; font-family: Simplified Arabic;"
lang="AR-SA">فحسن�ظنك بالرحمن يكفيكِ</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;"><span style="font-size: 14pt; font-family: Simplified Arabic;"
lang="AR-SA">فإذا خشع المؤمن بين يدي ربه وخالقه ومولاه حبب الله إليه طاعته ويسرها عليه، فوجد فيها أنسه وراحته وقرة عينه، واستشعر المحبة لله
والمهابة والتعظيم له سبحانه، ولدينه وشرعه، واستشعر بمناجاته لقاء ربه والعرض عليه، فأحب هذا اللقاء وأحب العبادة والصلاة لأنها ت��جل له هذا اللقاء
في الدنيا فاستعان بالصلاة واستعان بالصبر على الطاعة فخشع قلبه لله، وخشعت كل جوارحه.</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height:
normal;">قال تعالى: {وَاسْتَعِينُ��اْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى
الْخَاشِعِينَ. الَّذِينَ يَظُ��ُّ��نَ أَنَّهُ�� مُّ��اقُ�� رَبِّهِمْ وَأَنَّهُ�� إِلَيْهِ رَاجِعُ��نَ} [البقرة: 45، 46].</p><p class="a" dir="RTL"
style="text-indent: 0in; line-height: normal;">أما الكافرون المعاندون الذين استكبروا عن طاعة الله وعبادته،
فقست قلوبهم، وران- غطى- عليها ما يكسبون من الذنوب والخطايا والكفر والتكذيب فلم يعرفوا لله حقًا، ولم يرجوا لله وقارًا ولم تخشع قلوبهم لله، ولم
تطمئن لذكر الله فأولئك لا يخشعون لله إلا إذا ع��ضوا على النار، {يَوْمَ تَرْجُ���الرَّاجِفَةُ� تَتْبَعُ��ا الرَّادِفَةُ� قُ����بٌ يَوْمَئِذٍ
وَاجِفَةٌ. أَبْصَارُ��ا خَاشِعَةٌ} [النازعات: 6- 9]، {يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُ��نَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ�وَخَشَعَتِ
الْأَصْوَاتُ�لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ�إِلَّا هَمْسًا} [طه: 108]، {خُ��َّعًا أَبْصَارُ���� يَخْرُ����نَ مِنَ الْأَجْدَاثِ
كَأَنَّهُ�� جَرَادٌ مُّ��تَشِرٌ. مُّ��طِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُ���لالْكَافِرُ��نَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} [القمر: 7، 8]، و{يَوْمَ
يَخْرُ����نَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُ�� إِلَى نُ����ٍ يُ��فِضُ��نَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُ���� تَرْهَقُ���� ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ�الَّذِي كَانُ��ا يُ��عَدُ��نَ} [<span style="color:
green;">المعارج: 43، 44].</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;">فما كان
أحوجهم إلى الخشوع لله في الدنيا ليغفر الله ذنوبهم ويؤمنهم يوم الفزع الأكبر، قال أصدق القائلين: {إِنَّ الْمُ��لِمِينَ وَالْمُ��لِمَاتِ
وَالْمُ��مِنِينَ وَالْمُ��مِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُ��صَدِّقِينَ وَالْمُ��صَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ
وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُ����جَهُ�� وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ�لَهُ�� مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب:
35].</p><p class="a0" dir="RTL" style="text-align: justify;">خشوع النفاق</p><p
class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;">يحرص بعض الناس على إظهار الخشوع أمام
الناس، فتراه يحني جبهته ويتماوت في مشيته، ولا يكاد يفارق مسبحته يعبث بحباتها ليوحي للناس أنه من الذاكرين، فإذا خلا بمحارم اللَّه انتهكها، وربما
تفضحه عينه، أو فلتات لسانه، وربما أظهر التمرد على أحكام الشرع مدعيًا أنه من أرباب الحقائق العالمين بالبواطن، ويكثر هذا في المدعين للزهد والتنسك
من المتصوفة، الداعين للبدعة، المخالفين لهدي النبي- صلى الله عليه وسلم -وهدي الراشدين، وسلف الأمة الصالحين.</p><p
class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;">ولقد كان السلف الصالح يحذرون من هذا
الخشوع الكاذب ويسمونه خشوع النفاق، فكان حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه يقول: إياكم وخشوع النفاق، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد
خاشعًا، والقلب ليس بخاشع.</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;">فاللهم إنا
نعوذ بك من خشوع النفاق، ونعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا ي��مع.</p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in;
line-height: normal;"></p><p class="a" dir="RTL" style="text-indent: 0in; line-height: normal;"><span style="font-size: 14pt;
font-family: Simplified Arabic;" lang="AR-SA">(1) مدارج السالكين (1/559)، وما بعدها.</p>

الرابط الاصلي